عادل فهمي عبد الله

نساء من أهل الجنة

الدار الذهبية

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت : ٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد

فقد لعبت المرأة المسلمة فى صدر الإسلام دوراً عظيماً فى نصرة الدين والزود عن العقيدة، فقد بايعت وهاجرت، وشاركت الرجل فى الجهاد والدعوة، ولقد شهد العصر الأول من عصور الإسلام نماذج نسائية مشرّفة، فى حسن التبعلّ للأزواج، وفى اعانتهم على إقامة الدين، وفى السعى الحثيث نحو الآخرة، ولقد نزل فى بعضهن قرآناً من فوق سبع سماوات يتلى إلى يوم الدين مما يدل على عظم شأنهن، فلم يكن السباق بين النساء آنذاك سباقاً فى الزينة وأنواعها ولا سباقاً فى خطوط (الموضة) ومستحدثاتها، إنما كان فى شئ أعظم من ذلك وأغلى، كان سباقاً نحو الجنة، سباقاً نحو مكارم الأخلاق ومعالى القيم، وهذه مواقف عظيمة لبعض هؤلاء النسوة، وقبسات من حياتهن المشرقة، ما أحوج المرأة المسلمة اليوم لمثلها، حتى تستعيد صياغة أهدافها وتطلعاتها فى ضوء تلك النماذج التى رضى الله عنها، وامتدحها فى كتابه العزيز، والتى أثنى عليها رسول الله ﷺ خيرا، ونسأل الله العلى القدير أن يبصر نسائنا بالحق، ويهديهن إلى طريق الهدى والرشاد، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين،

عادل فتحى عبد الله

دمنهور/ فى ١٣ من ربيع أول ١٤٢٢هـ

أول مؤمنة برسول الله ﷺ

إذا كان للتاريخ أن يحفظ مواقف خالدة للنساء فلن يحفظ أعظم من موقف السيدة المؤمنة خديجة - رضى الله عنها - مع خير الخلق، وسيد المرسلين، سيدنا محمد - ﷺ - حين جاءه الوحى أول مرة وعاد إلى بيته مرتعداً خائفاً، فما كان منها إلا أن واسته وطمأنته، وربطت على قلبه، ثم ذهبت به لأهل الإختصاص بمثل هذه المواقف وهو ابن عمها ورقة بن نوفل، ولندع السيدة عائشة - أم المؤمنين - رضى الله عنها تحكى لنا هذا الحدث الجلل، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال: «اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم»، فرجع بها رسول الله ﷺ، يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - فقال: (زملونى، زملونى). فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسى»، فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصَّر فى الجاهلية، وكان

يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة.

هذا الناموس* الذى نزل على موسى، يا ليتنى فيها جذع، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجى هم؟! «قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحى» (١)

ما أروع هذا الموقف منك يا خديجة - رضى الله عنك - لقد كنت بحق نعم الزوجة التى تهدئ روع زوجها، وتبشره ولا تنفره، وتذكره بأنه نعم الرجال لأنه يأتى الخير كل الخير، ومثله لا يصيبه سوء، ولا يخزيه الله أبداً، ولو كانت امرأة غير خديجة لربما قالت له: وماذا دعاك أن تقعد وحدك فى ذاك المكان بعيداً عن الناس، ولماذا لا تكون مثل باقى الخلق.. لكنها المرأة المؤمنة بالفطرة التى تعلم أنها مع خير الناس، وأنه لابد أن ما جاءه حق، لأنه يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق، وتلك صفات لا يحملها إلا من هو خير الناس، ومثله لا يخزيه الله أبداً. ولقد كان ﷺ يقول: «بشروا خديجة ببيت فى الجنة من قصب (٢) لا صخب فيه ولا نصب» (٣) وذلك لخلقها الجميل، وسماحتها، وإيمانها بالدين الحق بمجرد سماعها به، ووقوفها دائماً فى نصرته، ونصرة زوجها رسول الله ﷺ، فقد كانت له الصدر الحنون، والقلب المخلص، واليد الحانية.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول أيضاً لأصحابه عن الجنة: «خير نسائها مريم ابنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» (٤) ولقد كان - ﷺ - يكثر من

* الناموس: صاحب السر الذى يطلعه بما يستره عن غيره.

(١) رواه البخارى (٣) ومسلم (٤٠١)

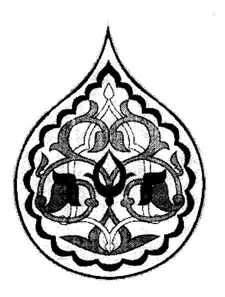
(٢) القصب: اللؤلؤ المجوف

(٣) رواه بهذا اللفظ البخارى (١٦٩٩) ورواه مسلم (٦٢٢٤) بمثله ورواه غيرهما

(٤) رواه البخارى (٣٢٤٩) ومسلم (٦٢٢١) وغيرها

ذكرها بعد وفاتها، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة

هلكت قبل أن يتزوجنى، لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها (صديقاتها) منها ما يسعهن»[1] وفى رواية: «ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها (يعنى ذكر خديجة - رضى الله عنها)»، فربما قلت له كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت.. وكان لى منها ولد» [2] هكذا كان وفاء الرسول ﷺ لخديجة رضى الله عنها، لشدة حبه ﷺ لها، لأنها واسته بوقوفها جانبه، وأعطته من مالها حين حرمه الناس، وكانت له نعم المعين على نوائب الدهر، لقد كانت نعم الزوجة، فهى قدوة لكل زوجة صالحة، فى تصديقها بالحق ووقوفها بجانبه، وفى طاعة زوجها وحسن عشرته، ولولا هذا ما أحبها الرسول ﷺ، لكنه عليه الصلاة والسلام وجدها خير زوجة وخير امرأة فرزق حبها كما قال ذلك ﷺ، قال: «إنى رزقت حبها» [3]



(١) رواه البخارى (٣٦٠٥) ورواه غيره

(٢) رواه البخارى (٣٦٠٧) وغيره

(٣) رواه مسلم (٦٢٢٨)

سيدة نساء المؤمنين

فى خدمة زوجها

لم تكن بنت رسول الله ﷺ وحبيبته فاطمة - عليها السلام - مثل بنات الملوك والرؤساء، تعيش فى قصر منيف، حولها الخدم والحشم والوصيفات.. كلا فقد كانت تعيش مع زوجها ابن عمها على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - فى بيت متواضع فقير إلا من الإيمان بالله تعالى والمودة والرحمة التى كانت تغمر أهل البيت، لقد كانت فاطمة - عليها السلام - تعجن وتطحن وتدير الرحى. وتقوم بخدمة زوجها كأحسن ما تكون الخدمة، ولو شاء رسول الله ﷺ أن يغدق عليها العطايا لفعل، ولأعطاها الخدم والحشم، ولما وجد ملامة من أحد، فما من بيت من بيوت السادة فى قريش إلا وفيه الخدم والحشم، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليعطى أهله وأولاده وفى المسلمين جياع، لقد كان يعلم أهله ﷺ وأولاده أن لا تكون الدنيا أكبر همهم ولا مبلغ علمهم.

ويحكى على* كرم الله وجهه عن خدمة زوجته إياه فيقول :

« كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه وكانت زوجتى، فجرت بالرحى حتى أثرت الرحى فى يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة فى نحرها. وقمت البيت (يعنى نظفته) حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها، وأصابها من ذلك ضُر» وفى رواية ابن اسحاق: «لقد طحنت فاطمة - رضى الله عنها - حتى مجلت يدها *، وربى أثر قطب الرحى فى يدها»

وعن عطاء بن السائب عن أبيه: «إن فاطمة كانت حاملاً، فكانت إذا خبزت أصاب حرف التنور (الفرن) بطنها، فأتت النبى ﷺ تسأله خادماً، فقال: «لا أعطيك وأدع أهل الصفة (1) تطوى بطونهم من الجوع، ألا أدلك على خير من

* حلية الأولياء (٢/ ٤١) * مجلت يدها: ثخن جلدها وتعجر وظهر فيها ما يشبه البثر

(1) أهل الصفة: جماعة من فقراء المسلمين

ذلك، إذا أويت إلى فراشك تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين وتكبرينه أربعاً وثلاثين» (١) فرضيت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ بحكم رسول الله ﷺ ونفذت وصيته، فأعانها الله تعالى.

فى الجهاد والدعوة

كانت فاطمة رضى الله عنها تقف مدافعة عن أبيها محمد ﷺ فى مكة، فكان كفار قريش كثيراً ما يؤذونه ﷺ فكانت تمسح عنه الحزن والألم وكانت له الصدر الحنون بعد وفاة زوجه خديجة رضى الله عنها، وذات مرة «كان ﷺ يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيئ بسلى جذور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد ـ ﷺ ـ وضعه على ظهره بين كتفيه، يقول عبد الله بن مسعود ـ راوى الحديث ـ رضى الله عنه: وأنا أنظر لا أغير شيئاً، لو كان لى منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة، ثم سمَّى: (اللهم عليك بأبى جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة) وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة ابن أبى معيط» وعدَّ السابع فلم نحفظه، قال: فو الذى نفسى بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى (موتى) فى القليب قليب بدر» (٢)

هكذا اندفعت فاطمة لتحمل القاذورات من على كتفه ـ ﷺ ـ فى وسط جمع الكفار لا تخاف منهم أحداً، فى حين كان يخاف المسلمون الضعفاء من فعل هذا، خوفاً من بطش أبى جهل وأصحابه.

هذا وإن فاطمة عليها السلام كانت تغزو مع رسول الله ﷺ فتشهد معه

(١) حلية الأولياء (٤١/٢) والحديث رواه البخارى (٢٩٤٥) ومسلم (٦٨٥٣) وغيرهما بلفظ قريب
(٢) رواه البخارى (٢٣٧)

القتال، فتسقى الجرحى، وتضمدهم، وتساعد المسلمين، ولا ينسى لها التاريخ موقفها المشهور فى غزوة أحد، حين انكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ وظن الكثيرون منهم أنه قتل، وتجمع حوله نفر من المهاجرين والأنصار يذبون عنه، ويدافعون عنه، وجاءت فاطمة وزوجها على فرأت وجه النبى ﷺ ينزف دماً «فلما رأت الذى بوجه رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه، وذهب على كرم الله وجهه يأتى بماء، وقال لفاطمة: امسكى هذا السيف غير ذميم، فأتى بماء فى مجنة (١) فأراد النبى ﷺ أن يشرب وكان قد عطش، فلم يستطع ووجد ريحاً من الماء كرهها، فقال عليه السلام: هذا ماء آجن (٢)، فمضمض منه فاه للدم الذى فيه، وغسلت فاطمة عن أبيها الدم، فلما رأت الدم لا يرقى (٣) وهى تغسله وعلىّ يصب الماء عليها بالمجن، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم» (٤)

هكذا خرجت فاطمة للغزو فى سبيل الله تحمل الطعام على ظهرها للمسلمين وتسقى الجرحى وتداويهم، وفى الموقف الصعب فى أحد كانت من المتقدمين الصفوف للدفاع عن رسول الله ﷺ ولمعالجته، هى وزوجها على رضى الله عنهم وجماعة من النساء يقدر عددهن بأربع عشر امرأة منهن أن سليم بنت ملحان، وعائشة أم المؤمنين، وأم أيمن، وحمنة بنت جحش، وأم عمارة نسيبة بنت كعب)، وغيرهن، رحم الله فاطمة فقد كانت حب رسول الله ﷺ، فقد كان يقول ﷺ:

«إن فاطمة بضعة منى، يؤذينى ما آذاها» (٥)

وفى رواية

«فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها أغضبنى» (٦)

(١) مجنة: يعنى (ترس)　　(٢) آجن: يعنى (فاسد)

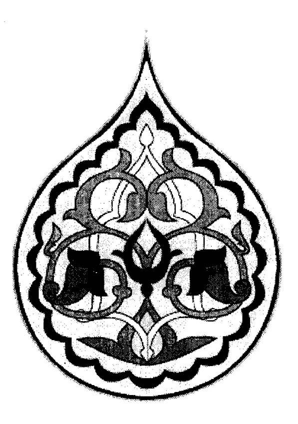
(٣) لا يرقى: يعنى (لا ينقطع)

(٤) (امتاع الأسماع) لتقى الدين أحمد بن على المقريزى

(٥) رواه مسلم (٦٢٥٨)　　(٦) رواه البخارى (٣٥١٠)، (٣٥٥٦)

وهى سيدة نساء أهل الجنة، وسيدة نساء العالمين، تقول عائشة رضى الله عنها:

«اجتمع نساء النبى ﷺ، فلم يغادر منهن امرأة، فأقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: «مرحباً بابنتى»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة رضى الله عنها، ثم إنه سارها (١) فضحكت أيضاً، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ،... حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثنى: «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به فى هذا العام مرتين، فقال عليه السلام: «ولا أرانى إلا قد حضر أجلى، وإنك أول أهلى لحوقاً بى، ونعم السلف أنا لك «قالت فاطمة: فبكيت لذلك، ثم إنه سارنى فقال: «ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة»؟ فضحكت لذلك» (٢)



(١) سارها: يعنى «كلمها سراً»

(٢) رواه البخارى (٣٤٦٢) ومسلم (٦٢٦٤)

المبرأة من فوق سبع سماوات

فى حب النبى ﷺ وإيثار الآخرة على الأولى

لقد كان رسول الله ﷺ يعيش عيشاً بسيطاً، فلقد كان عبداً رسولاً، ولم يك ملكاً نبياً، ولو شاء أن يكون كذلك لكان، لكنه فضل أن يجوع يوماً ويشبع يوماً، حتى إذا جاع صبر وذكر حال الفقراء والمساكين، ولقد كان عليه الصلاة والسلام يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ولم يكن يرد سائلاً قط، حتى لو لم يكن معه مال، اقترض مالا ليعطى السائل ثم يقوم برده فيما بعد، وتلك الحياة تحتاج إلى صبر جميل من الزوجة، خصوصاً أن النساء عادة ما يحبون الأموال والزينة وصنوف الطعام والشراب، ولقد حدث أن تململ زوجات النبى ﷺ يوماً وجلسن يطلبن منه النفقة وليس عنده شئ ﷺ، فنزل قول الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١)

فبدأ رسول الله ﷺ بتخيير زوجاته بين أن يمكثن معه ولهن أجراً عظيما إن أحسنَّ، وبين أن يطلقهن فيتمتعن مع غيره بزينة الحياة الدنيا، وأول ما بدأ بعائشة رضى الله عنها ونترك الحديث هنا لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حيث قالت:

«لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بى، فقال: «إنى ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك» قالت: وقد علم أن أبواى لم يكونا يأمرانى بفراقه، قالت، ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: «يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها..» وذكر الآيات إلى قوله تعالى «أجراً عظيماً»، قالت: فقلت: ففى أى هذا أستأمر أبواى، فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبى ﷺ مثلما فعلت» (٢)

(١) سورة الأحزاب الآيات (٢٨، ٢٩)   (٢) رواه البخارى (٤٥٠٨)

وهكذا اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة، وآثرت الآخرة على الأولى، ثم اقتدى بها بقية أمهات المؤمنين، رضى الله عنهن جميعاً.

ولقد كانت عائشة تحب رسول الله ﷺ حباً شديداً وكان كذلك يبادلها رسول الله ﷺ نفس الشعور، فقد سئل عليه الصلاة والسلام: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قيل: من الرجال؟ قال: «أبوها» (١)

وقال لها ذات مرة ـ ﷺ ـ: «انى لأعرف غضبك ورضاك»

قالت: وكيف تعرف ذاك يا رسول الله؟!

قال: إذا كنت راضية، قلت: بلى ورب محمد، وإذا كنت ساخطة قلت بلى ورب إبراهيم» قالت: قلت: أجل، لست أهاجر إلا اسمك» (٢)

فى الجهاد والدعوة والصبر على البلاء

إن الإسلام وإن كان لا يكلف المرأة بالجهاد فى سبيل الله الذى هو القتال ولقاء العدو، إلا أن جمع من النساء كن يتطوعن فيخرجن مع الجيش مساعدة للجنود، حيث يقمن بالسقاية وحمل الطعام ومداواة الجرحى، ونحو ذلك، وكان النبى ﷺ إذا غزا غزوة أقرع بين نسائه (يعنى عمل قرعة بينهن) لينظر من تذهب معه فى الغزو، كما حدثت بذلك عائشة رضى الله عنها (٣).

وفى غزوة أحد فى أصعب المواقف كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها مع الجيش تسقى القوم، يقول أنس ـ رضى الله عنه ـ:

«لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ، ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما (يعنى خلخاليهما)، وهما تنقلان القرب على متونهما (ظهورهما) ثم تفر غانه فى أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم» (٤)

(١) رواه البخارى (٣٤٦٢) (٢) رواه البخارى (٥٧٢٨) ومسلم (٦٢٣٥)

(٣) فى حديث رواه البخارى (٤٤٧٣)

(٤) رواه البخارى (٢٧٢٤)

ولقد ابتليت عائشة رضى الله عنها بأشد ما تبتلى به امرأة عفيفة شريفة ذات حسب ونسب، فقد أشاع عنها رأس المنافقين عبد الله بن أبى حديث الإفك واتهمها بأبشع تهمة هى وأحد أصحاب رسول الله ﷺ المؤمنين ويدعى صفوان بن المعطل، ولندع أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تحكى عن هذه المصيبة التى ابتليت بها فصبرت حتى جاءتها البراءة من السماء فى قرآن يتلى إلى يوم الدين،

تقول عائشة - رضى الله عنها -:

«كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا فى غزاة (1)، فخرج سهمى فخرجت معه، بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل فى هودج وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقف، ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل، فلمست صدرى، فإذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدى، فحبسنى ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لى، فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب، وهم يحسبون أنى فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن، ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلون العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد. فتيممت منزلى الذى كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلى، فرأى سواد انسان نائم، فأتانى فعرفنى حين رآنى، وكان يرانى قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى، فخمدت وجهى بجلبابى، والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه (يعنى قوله «إنا لله وإنا إليه راجعون»)، حتى أناخ راحلته فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة، فهلك من هلك،

(1) هى غزوة بنى المصطلق

وكان الذى تولى الإفك عبد الله ابن أبى ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت (يعنى مرضت) حين قدمت شهراً، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل علىَّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: (كيف تيكم) ثم ينصرف، فذاك الذى يريبنى ولا أشعر، حتى خرجت بعد ما نقهت (يعنى بعد قرب الشفاء)، فخرجت معى أم مسطح قبل المناصح، وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف (يعنى دورات المياه) قريباً من بيوتنا...، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهى ابنة أبى رهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق، وابنها مسطح ابن أثاثة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح فى مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً، قالت: أى هنتاه، أو لم تسمعى ما قال؟

قلت: وما قال؟ فأخبرتنى بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضى، فلما رجعت إلى بيتى ودخل رسول الله ﷺ، سلَّم ثم قال: (كيف تيكم). فقلت: أتأذن لى أن آتى أبوى؟

قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلها، قالت: فأذن لى رسول الله ﷺ، فجئت أبوى فقلت لأمى: يا أماه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هونى عليك، فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقى لى دمع (يعنى لا ينقطع عنى الدمع)، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى (يعنى لم تنم من شدة البكاء)، فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد - رضى الله عنهما - حين استلبث الوحى (يعنى استأخر) يستأمرهما فى فراق أهله (يعنى فى فراق عائشة - رضى الله عنها -) فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة

أهله، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما على بن أبى طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك؟!

قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتى الداجن (يعنى القطة) فتأكله، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبى ابن سلول، فقال ﷺ وهو على المنبر:

«يا معشر المسلمين، من يعذرنى من رجل قد بلغنى آذاه فى أهل بيتى فو الله ما علمت على أهلى إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلى إلا وهو معى»

فقام سعد بن معاذ الأنصارى، فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه. إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتلمته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتشاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فمكثت يومى ذلك لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم (يعنى لا ترى عينى النوم) ولا يرقا لى دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدى، قالت: فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت علىَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «**أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك**

كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي، حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ؟ قالت: فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن (يعني لا تحفظ منه كثيراً) - إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف [1] قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [2]

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، لكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم القرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فو الله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي. فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه لتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شأن، فلما سرى عنه ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: **«يا عائشة، احمدي الله، فقد برأك الله»**

فقالت أمي: قومي إليه، قالت فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3] العشر آيات كلها...» [4]

(١) تقصد يعقوب ﷺ، نسيت اسمه من هول الموقف ومن حزنها الشديد لاتهام الناس لها بالباطل.

(٢) سورة يوسف الآية (١٨) (٣) سورة النور (١١)

(٤) رواه البخاري (٢٥١٨)، (٤٤٧٣) ومسلم (٦٩٥١)

نعم الحمد لله، لقد كانت محنة قاسية على المسلمين جميعاً حاكها المنافقون وسعى بها رأسهم عبد الله بن أبى فى خبث ومكر كالحية التى تلدغ فى خفاء ثم تختفى، ليفرق جماعة المسلمين، وليطعن خير خلق الله محمد ﷺ فى أحب الناس إليه، فوعد الله تعالى رأس المنافقين بالعذاب العظيم «**والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم**»

وتم تنفيذ حد القذف فى الذين سعوا بالإفك علنا بين الناس، وهو الجلد ثمانين جلدة لكل واحد منهم، لأن الخوض فى أعراض الناس واتهامهم بالباطل فى الإسلام جريمة نكراء، فالمجتمع المسلم مجتمع عفيف شريف، ولا يسمح لأحد بأن يتكلم على أحد بالباطل من غير بينة أو أربعة شهود عدول.

والشاهد فى هذا الموقف هو صبر أم المؤمنين عائشة صبراً جميلاً من غير شكوى أو مضرَّة أو لعن للزمان أو فعل أمر من أمور الجاهلية، كما يدل على عظم شأنها لنزول آيات من كتاب الله تعالى تبرأها تتلى إلى يوم الدين.

فى الصدقة والبر:

لقد كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كثيرة الإنفاق والصدقة.

«فقد سألها مسكين ـ وهى صائمة ـ وليس فى بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها: أعطه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطه إياه، قالت: ففعلت، فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدى لنا: شاة وكتفها، فدعتنى عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت: كلى من هذا هذا خير من قرصك» (١)

ولم تكن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقيرة لكنها كانت تتصدق بكل ما عندها فلا تبقى لنفسها شيئاً ابتغاء الجنة والدرجات العلى وحباً للخير والبر والصدقة، ومن شدة انفاقها قال ابن الزبير مرة: «لتنتهين عائشة أو لاحجرن عليها» (٢)

(١) رواه مالك فى الموطأ برقم (٩٢٤)

(٢) رواه البخارى (٥٧٢٥)

فحزنت عائشة لقوله هذا، وقاطعته زمناً، فنذرت لله أن لا تكلمه ولما طال هجرانها له ـ وهى خالته ـ ذهب إليها ليستسمحها مع نفر من أصحابه يذكرونها نهى النبى ﷺ عن الهجرة فى قوله «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**» وهى تذكرهم بالنذر الذى نذرته، حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت فى نذرها هذا أربعين رقبة. ومما يروى عنها أنها تصدقت بسبعين ألفاً، وإنها لترقّع جانب درعها رضى الله عنها.

هذه هى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها زوجة رسول الله ﷺ فى الدنيا وزوجته فى الآخرة، والتى جاء بصورتها جبريل لرسول الله ﷺ، يقول ﷺ لعائشة:

«**أريتك فى المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك فى سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه**، فأقول:

«**إن يك هذا من عند الله يمضه**» (١)

وعن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» (٢)

يقول عروة بن الزبير عن عائشة: «لقد صحبت عائشة ـ وكانت خالته ـ فما رأيت أحداً أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب ولا بكذا وكذا، ولا بقضاء ولا طب منها، فقلت لها: يا خالة: من أين علمت الطب؟ قالت: كنت أمرض فينعت لى الشىء ويمرض المريض فينعت له، واسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه» (٣)

---

(١) رواه البخارى (٤٨٣٢) ومسلم (٦٢٣٣)
(٢) رواه البخارى (٣٢٣٠) ومسلم (٦٢٢٢)
(٣) حلية الأولياء (٢/٤٩)

أم المؤمنين وأم المساكين

شهادة صدق

الشهادة شيء عظيم، وشهادة الصدق والحق تحتاج إلى نفس مؤمنة، خصوصاً إذا كانت هذه الشهادة تتعلق بشخص نحبه أو بشخص آخر نغار منه، ولقد وقعت فى هذا الامتحان الصعب أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها، وذلك حين سألها رسول الله ﷺ عن رأيها فيما يشاع عن السيدة عائشة وصفوان بن المعطل فيما عرف بحديث الإفك ـ وذلك قبل نزول آيات البراءة لأم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قال ﷺ: «**يا زينب ما علمت فيما رأيت؟!**»

قالت: «**يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت عليها إلا خيراً**»[1]

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها:

«وهى التى كانت تسامينى * عند رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع» [1]

فبرغم غيرة السيدة زينب رضى الله عنها من السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وأنهما كانتا تتسابقان لنيل رضا رسول الله ﷺ عنهما، والحظو بالمكانة الأعلى فى قلبه، برغم هذا كله، فلم تكن زينب لتنتهز هذه الفرصة لتشنع على ضرتها .. كلا، فهى ليست ممن يصطاد فى الماء العكر، وهذه الشهادة تدل على إيمان وتقوى السيدة زينب رضى الله عنها، على الرغم من أن امرأة أخرى أخذتها العزة بالإثم فطفقت تشيع حديث الإفك وهى لم تكن ضرة لعائشة ـ رضى الله عنها ـ هذه المرأة هى حمنة بنت جحش أخت زينب! فالضرة نفسها شهدت بالحق

(١) رواه البخارى (٢٥١٨) ومسلم (٦٩٥١)

وما تعلمه أما أختها لقلة تقواها أشاعت الشائعات وارتكبت الحماقات، ونالت الإثم العظيم.

ونستطيع إدراك هذا الموقف العظيم لأم المؤمنين زينب ـ رضى الله عنها ـ وخطورة موقف أختها حمنة خاصة فى مثل هذه المواقف، حين نعلم أن النبى ﷺ حذر من شهادة الزور وقول الزور واعتبر ذلك قرين الشرك بالله وعقوق الوالدين،يقول رسول الله ﷺ:

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قال الراوى: قلنا بلى يا رسول الله، قال ﷺ:

«**الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور،. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**» (1) وقول الراوى عن النبى ﷺ: «وكان متكئاً فجلس» فيه دليل على أهمية الكلام التالى وهو التحذير من شهادة الزور، والمعنى أنه كان متكئاً فاعتدل لينبه على خطورة الكلام التالى، كذلك قوله: «فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»، والصحابة رضوان الله عليهم لا يتمنون سكوته ﷺ لكن المراد بيان خطورة شهادة الزور، وتأثر النبى ﷺ بذلك.

«سباق نحو الجنة»

ومع كثرة تصدق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فإنها تعترف لزينب ـ رضى الله عنها ـ بأنها كانت أكثر منها صدقة وانفاقاً فى سبيل الله،

تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ: قال رسول الله ﷺ:

«أسرعكن لحاقاً بى، أطولكن يداً»

قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً.

قالت: «فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق» (2) وقد جاء زينب ـ رضى الله عنها ـ عطاءً كثيراً ذات مرة فتصدقت به كله ولم تبق سوى

(1) رواه البخارى (٢٥١٠)، (٦٥٢١) ومسلم (٢٥٥)
(2) رواه مسلم (٦٢٦٦)

جزءً يسيراً لخادمتها، فقد أخرج ابن سعد عن برة بنت رافع قالت: «لما خرج العطاء ارسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى زينب بنت جحش رضى الله عنهما بالذى لها، فلما أدخل عليها المال قالت: رحم الله أمير المؤمنين عمر، غيرى من إخوانى كان أقوى منى على قسمة هذا المال، قالوا: هذا كلة لك، قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب، وقالت: ضعوه واطرحوا عليه ثوباً. ثم قالت لخادمتها: أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان - من آهل رحمها وأيتامها ... وهكذا حتى بقيت منه بقية يسيرة تحت الثوب، فقالت لها برة: رحمك الله يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا فى هذا حق، قالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها يدها إلى السماء ثم قالت: اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا، فماتت - رضى الله عنها -»

اجتهاد فى العبادة

عن أنس رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين (1)، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، إذا فترت تعلقت به، قال ﷺ:

«لا، حلّوه، ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد» (2)

فالاجتهاد فى العبادة مطلوب لكن إن فتر الإنسان أو تعب فلا يجهد نفسه، لأن الله غنى عن تعذيب الإنسان نفسه، وهو سبحانه يريد منا التقوى، فالعبادة مطلوبة لكن بالحد الذى لا يدعو إلى الملل، فإذا شعر الإنسان بالملل أو التعب فليسترح، رحم الله أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضى الله عنها - فلقد كانت عابدة زاهدة، وحين جاءتها الوفاة وكانت قد اشترت لنفسها كفناً ثم علمت أن عمر - رضى الله عنه - سيبعث لها بكفن،

قالت: «إنى قد أعددت كفناً، وإن عمر سيبعث إلىَّ بكفن فتصدقوا بأحدهما» (3)

(1) ساريتين: يعنى عمودين
(2) رواه البخارى (١٠٩٩)
(3) ابن سعد (١٠٩/٩)

ذات النطاقين

فى خدمة زوجها

تزوجت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها من الزبير بن العوام رضى الله عنه، وكان الزبير حينئذ فقيراً، ليس عنده خادم، فكانت أسماء - رضى الله عنها - تقوم بخدمته حق القيام على قساوة هذه الخدمة والتى تحكى عنها فتقول:

«تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأسوسه، وأكفيه مؤنته، وأدق النوى لناضحه [١]، وأعلفه، وأستقى الماء، وأخرز غربه [٢]، وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز، وكان يخبز لى جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق، قالت وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله ﷺ، على رأسى، وهى على ثلثى فرسخ *، قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسى، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعانى ثم قال: إخ إخ.. [٣] ليحملنى خلفه، قالت: فاستحييت وعرفت غيرتك (يعنى غيرة الزبير عليها)، قال الزبير - رضي الله عنه -: والله لحملك النوى على أشد من ركوبك مع رسول الله ﷺ، قالت:

«**حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بخادم فكأنما أعتقنى**» [٤]

وفى رواية أخرى للحديث «**حتى أرسل إلى أبو بكر بخادم يكفينى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى**» يعنى أن الخادم جاء أساساً لسياسة الفرس فهى عملية

(١) لناضحه: يعنى لبعيره الذى يستقى عليه الماء

(٢) وأخرز غربه: يعنى تخيط الدلو بالخرز

(٣) كلمة تقال للناقة كى تنخ

* مسافة ثلثى فرسخ تقدر بمشى ساعة تقريباً

(٤) رواه بهذا اللفظ مسلم (٥٦٥٦) ورواه البخارى مختصراً

صعبة بالنسبة للمرأة، لكن أسماء بنت الصديق رضى الله عنها ما كانت لتتوانى لحظة فى خدمة زوجها، حتى أنها تفضل المشى ساعة على قدميها وهى تحمل النوى على رأسها ولا تركب مع رسول الله ﷺ خوفاً من غيرة زوجها الزبير عليها، انظرى أيتها الأخت المسلمة إلى أى مدى كانت تحترم أسماء مشاعر زوجها!

فى الجهاد والدعوة

لقد كانت أسماء - رضى الله عنها - كاتمة سر هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبى بكر، وهى التى أعدت لهما الطعام هى وعائشة رضى الله عنها، تقول عائشة رضى الله عنها:

«فجهزناهما «يعنى النبى ﷺ وأبى بكر» أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب. فبذلك سميت ذات النطاقين» (١)

ولما خرج رسول الله ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه للهجرة، وأعمى الله المشركين فلم يبصروا رسول الله ﷺ عند خروجه من بيته، وبعد أن اكتشفوا خروجه هرعوا مسرعين إلى بيت أبى بكر لعلهم يجدوا الرسول ﷺ وصاحبه قبل أن يرحلا، ونترك الحديث لأسماء رضى الله عنها حيث قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبى بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوكِ يا ابنت أبى بكر؟

قلت: لا أدرى والله أين أبى، قالت: فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى.. ثم انصرفوا..» (٢)

إنها شجاعة نادرة فى مواجهة رأس الكفر أبى جهل، وموقف يهاب منه الرجال، لكنها أسماء بنت الصديق أبى بكر رضى الله عنهما.

(١) رواه البخارى مطولاً (٣٦٩٢)

(٢) رواه ابن اسحاق (سيرة ابن هشام)

ثم تهاجر أسماء وهى حبلى بعبد الله بن الزبير، فتسافر هذا السفر الشاق حتى إذا وصلت (قباء) وضعت وليدها عبد الله [1]، والهجرة نوع من الجهاد، خصوصاً للمرأة الحامل التى تتكبد السفر، وكان عبد الله أول مولود للمسلمين يولد بالمدينة.

ولقد أنشأت أسماء عبد الله على خلق الرجولة والشجاعة، ودفعت به هى وأبوه الزبير إلى رسول الله ﷺ كى يبايعه، وكان عبد الله حينئذ ابن سبع سنين أو ثمان، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه [2].

يقول عثمان ابن طلحة: كان ابن الزبير لا يتنازع فى ثلاثة «شجاعة، ولا عبادة، ولا بلاغة» [3]

ولقد عاشت أسماء بنت الصديق أبى بكر - رضى الله عنها - زمناً حتى بلغت المائة عام، فلم تكسر لها سن، ولم يعوج لها فكر، ولم تهب من الباطل ولم تخش إلا الله، فقد وقفت وبصلابة مع ابنها عبد الله ابن الزبير حين بويع له بالخلافة فى المدينة - عقب موت يزيد بن معاوية - عام (٦٤ هـ)، وحين أرسل الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان جيشاً لحربه بقيادة طاغية عصره الحجاج بن يوسف الثقفى، ويحكى هشام ابن عروة عن أبيه قال: «دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء قبل قتل ابن الزبير بعشر ليال، وإنها لوجعة (يعنى مريضة) فقال عبد الله: كيف تجدينك؟، قالت: وجعة، قال: إن فى الموت لعافية، قالت: فلعلك تشتهى موتى فكذلك تتمناه فلا تفعل، فالتفت إلىَّ عبد الله فضحكت، وقالت: والله ما أشتهى أن أموت حتى يأتى على أحد طرفيك، إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عينى عليك، وإياك أن تعرض خطة فلا توافق فتقبلها كراهية الموت»، وإنما عنى ابن الزبير أن يقتل فيحزنها ذلك» [4]

(١) من حديث فى صحيح مسلم برقم (٥٥٨١)

(٢) من حديث فى صحيح مسلم برقم (٥٥٨١)

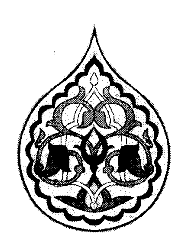
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٣٧٠)

(٤) حلية الأولياء (٢/٥٦) لأبى نعيم الأصفهانى

يعنى أن عبد الله ابن الزبير كان يخاف على حزنها عليه إن قتل ومثّل به أعداءه، لكن أسماء ـ رضى الله عنها ـ شجعته على القتال وعدم الخوف من الموت أو أن يمثل به بعد الموت، وأن عينيها ستقر به إن رأته مقتولاً دفاعاً عما يعتقد أنه الحق.

ولما قتل ابن الزبير فى حربه مع الحجاج، ما كان من أمه أسماء إلا أن صبرت واسترجعت، فقد كلمها عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال: «إن هذه الجثث ليست بشيئ، إنما الأرواح عند الله فاتقى الله واصبرى، فقالت: وما يمنعنى وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل» ثم دعت الله تعالى قائلة: اللهم لا تمتنى حتى أوتى به، فأحنطه وأكفنه، فجاء كتاب عبد الملك بن مروان أن ردّوه لأهله بعد ما صلبه الحجاج فى الحرم، فأخذته أسماء ـ رضى الله عنها ـ فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه وقد ذهب بصرها، ثم ماتت بعده بثلاثة أيام.

رحم الله أسماء بنت الصديق أبى بكر ورحم الله ابنها عبد الله بن الزبير والذى كان يلقب (بحمامة المسجد) لحرصه على الصلوات منذ الصغر. فلقد كانت لا تخشى فى الله لومة لائم، وكانت تحمل بين جنباتها صبراً عظيماً، وإيماناً راسخاً، ولقد كانت أسماء رضى الله عنها آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً، ولقد كان موتها عام ٧٣ هـ بعد موت ابنها ببضعة أيام قيل ثلاثة أيام وقيل عشرة أيام.



مواقف «الرميصاء» رضى الله عنها

فى حسن التبعل للزوج
والصبر على البلاء

الرميصاء وهى - أم سليم بنت ملحان - رضى الله عنها، كانت متزوجة من أبى طلحة الأنصارى رضي الله عنه، وقد رزقها الله ولداً سموه (أبا عمير)، كان أبو عمير يملأ الدنيا لعباً ومرحاً، وكان فرحة أبيه وأمه، يملأ عليهما البيت فرحاً وسروراً وبهجة، وشاءت إرادة الله تعالى أن يصاب هذا الطفل الصغير بالمرض الذى يلزمه الفراش، كان ذلك فى وقت يستعد فيه أبوه طلحة للسفر، فودعه وأمه ثم سافر وهو يوصى أم سليم بالصغير، لكن الصغير أبا عمير ما هى إلا بضعه أيام قلائل وأسلم الروح لباريها، هكذا كانت إرادة الله تعالى، وما المرض إلا سبب لكن االقدر محقق لا محالة، فماذا فعلت أم سليم بعد ما بذلت قصارى جهدها فى تمريض صغيرها ورعايته لكن ما أفلحت تلك الوسائل فى شفائه وقد قُدِّر له لقاء ربه؟! ماذا فعلت أم سليم فى تلك اللحظات الرهيبة وهى ترى طفلها يسلم الروح لباريها؟

هل ولولت وملأت الدنيا نواحاً وصراخاً؟ كلا والله، لقد قالت:

«إنا لله وإنا إليه راجعون» وذرفت عيناها الدموع الساخنة المرة وهى تحمد الله تعالى، وتدعوا الله أن يجيرها فى مصيبتها وأن يلهمها الصبر والشكر فى السراء والضراء.

ثم قالت لأهل بيت أبى طلحة: إذا حضر أبو طلحة من سفره، فلا يحدثه أحد بالخبر، حتى أكون أنا أول من يحدثه..

وعاد أبو طلحة من سفره فدخل على أم سليم وأول ما تكلم قال:

ما فعل أبو عمير؟ قالت: «إنه لم يكن أهدأ منه الليلة»

إجابة ذكية ليست كذباً، لكنها حقيقة، وهى تعنى عند أبى طلحة أن ابنه بخير حال، وقد شفاه الله تعالى، وتعنى فى الحقيقة أنه مات ولا هدوء للطفل بعده، إنها لم ترد أن تقابله بتلك المصيبة فور عودته من سفره، ثم قربت له العشاء، فأكل وشرب، ثم تجملت له ففعل معها ما يفعل الرجل مع زوجته، فلما رأت أنه قد شبع قالت له:

«يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم * أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا

قالت: فاحتسب ابنك (يعنى أنه مات فاحتسبه عند الله تعالى) فغضب أبو طلحة ثم قال لها: تركتنى حتى تلطخت ثم أخبرتنى بإبنى؟ ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ يخبره الخبر، فقال ﷺ: «**بارك الله لكما فى غابر ليلتكما**» [(١)]

فحملت من تلك الليلة وولدت غلاماً سمته عبد الله كان هو وأولاده يحفظون القرآن الكريم. وكان ذلك من بركة صنيع أم سليم وحسن تبعلها لزوجها، وبركة دعاء النبى ﷺ لهما.

---

* المقصود أنهم أودعوا قوماً وديعة، والمراد هنا أن هذا الغلام هو وديعة من الله تعالى لهم وقد استردها سبحانه فليس أمامنا إلا الرضى بالقضاء، والصبر عند البلاء.

(١) رواه البخارى (٥١٥٣) ومسلم (٦٢٧٢) واللفظ هنا لمسلم

الرميصاء تطعم ضيف رسول الله قوت صبيانها

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهود، فأرسل رسول الله ﷺ إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء [1]، فقال رسول الله ﷺ: من يضيف هذا، الليلة، رحمه الله؟!

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟

قالت: لا، إلا قوت صبيانى، قال: فعلليهم بشيء، ثم نوميهم، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومى إلى السراج كى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فقال ﷺ: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» [2]

وأنزل الله تعالى فى هذه الحادثة قرآناً من فوق سبع سماوات يتلى إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [3]

لو كانت تلك المرأة واحدة من نساء اليوم لقالت لزوجها: كيف تأتى بضيف وأنت تعلم أن البيت ليس فيه سوى طعام أولادنا؟!

أتريد أن ينام الأولاد جياعاً؟ أم تريد أن تفضحنا أمام الضيف فنتقدم إليه ما لا يليق بمكانتنا الاجتماعية؟!

(١) انظرى أيتها الأخت المسلمة: نساء النبى ﷺ ليس عندهن إلا الماء، والمرأة اليوم قد لا تصبر إذا لم يحضر لها زوجها الفاكهة يوماً ما، أو تشتكى إذا قصر فى شيء من طلباتها أو من الكماليات.

(٢) الحديث رواه البخارى (٤٦٠٧) ومسلم (٥٣٢٧) وابن حبان (٥٢٨٦)

(٣) سورة الحشر الآية (٩)

أردف الحديث بهذه الآية ابن حبان فى صحيحه (٧٢٦٤) والحاكم (٧١٧٦)

ولم تقل فى نفسها ما هذا الضيف الذى يأتى فى مثل هذا الوقت المتأخر أليس يقدر ظروف الناس،..

إن شيئاً من ذلك لم يتردد فى ذهن المرأة، وربما تردد فى ذهنها أن قالت لنفسها: وماذا يحدث لو بات الأولاد يوماً جياعاً وبتنا معهم كذلك لنطعم ضيفنا؟ لعل أن يكون لنا فى هذا العمل مغفرة لذنوبنا ونجاة لنا من النار؟

نعم لقد كان، ولم يكن شأنهما بأقل من ينزل فيهما قرآن يتلى إلى يوم الدين، لأنهم حقاً يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

وقد ذكر أن هذا الرجل وزوجته اللذين أطعما ضيف رسول الله ﷺ طعام صبياتهما، هما أبو طلحة الأنصارى وزوجته أم سليم بنت ملحان الملقبة بالرميصاء رضى الله عنهم.

«فى الدعوة إلى الله والجهاد»

إذا ذكرت أم سليم ذكرت معها التضحية والفداء والدعوة والجهاد، فها هى أول ما سمعت عن الإسلام، وقدوم رسول الله ﷺ المدينة، طار قلبها فرحاً، فقد فكرت وقررت أن تعلن الشهادتين وتسلم لله رب العالمين، وقد كانت أم سليم حينئذ متزوجة من رجل من الأنصار يقال له مالك بن النضر. لكن زوجها لم يشأ أن يدخل الإسلام، وأنكر عليها تفكيرها فى دخول هذا الدين الجديد ليس ذلك فحسب بل هددها إن آمنت بمحمد - ﷺ - ليتركنها وابنها أنس ويرحل عنهم بعيداً، فكان على أم سليم أن تقرر هل تسلم لله رب العالمين وتضحى بسعادة بيتها وتشريد الأسرة؟ أم تظل على الكفر وتنعم بقرب الزوج واستقرار البيت؟ لكن أم سليم التى تحمل قلباً مؤمناً، ونفساً زكية، لم تفكر كثيراً فسارعت إلى الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ودعت أنس إلي الإسلام فأسلم كذلك، ونفذ زوجها مالك ما توعد به، فهجرها وابنها ورحل عنهما، ولم تكتف أم سليم بالإسلام هكذا فحسب بل وهبت ابنها أنس ليخدم رسول الله ﷺ، وكانت أم سليم تأمل أن يعود زوجها إليها ويشرح الله قلبه للإسلام، لكن سبقته منيته، وجاء

الناس ينعون إليها زوجها فقد قتله أحد أعدائه.

ثم تقدم لخطبة أم سليم رجل يدعى أبى طلحة، لكنه كان ولم يزل مشركاً، وعرض على أم سليم مهراً كبيراً وقد كان غنياً، من أغنياء المدينة. لكن أم سليم لم تنظر إلى المال أو إلى الغنى وإنما دعت أبا طلحة إلى الإسلام وقالت له: إن أسلمت فصداقى (مهرى) إسلامك، ولا أريد شيئاً من المال..

فذهب أبو طلحة ليفكر ثم عاد ليكرر طلبها للزواج من غير أن يسلم، فقالت له: يا أبا طلحة ألا تستحى أن تعبد حجراً لا يضرك ولا ينفعك؟!..

وما زال أبو طلحة يذهب ويجيء يريد الزواج منها من غير أن يسلم وهى تأبى منه إلا الإسلام، فهى لا تريد الزواج من مشرك يعبد الأصنام ويسجد للأحجار، فما زالت به حتى شرح الله صدره للإسلام فذهب إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه، وليحسن اسلامه بعد ذلك فيصبح من الأنصار، المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم،

لقد وهبت أم سليم حياتها للدعوة والجهاد فى سبيل الله فكانت تخرج مع المسلمين فى الغزوات فى جمع من النسوة، يسقين الجيش، ويحملن الطعام على ظهورهن، ويداوين الجرحى..، ولقد كانت تمتلك شجاعة نادرة لا يمتلكها كثير من الرجال،

يقول أنس: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم، وإنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما (١). تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه فى أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم» (٢)

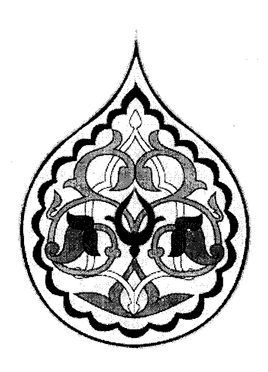
وفى غزوة حنين حين قال بعض المسلمين لن نهزم اليوم من قلة، ثم فوجىء المسلمون بسهام العدو تنهال عليهم فى وادى حنين، على غرة، فتفرقوا وانكشفوا عن رسول الله ﷺ، وثبت النبى ﷺ فى جمع من أصحابه وهو يقول: أنا النبى

(١) خدم سوقهما: يقصد خُلخاليهما

(٢) رواه البخارى (٢٧٢٤)، (٣٦٠٠)

لاكذب، أنا ابن عبد المطلب، وفى هذا الموقف العصيب كانت أم سليم وزوجها أبو طلحة فى صفوف الجيش، أبو طلحة يقاتل وأم سليم تقوم بخدمة الجيش، ولما انهزم الناس لم تنهزم ولم تفر، وبعد أن يقتل أبو طلحة بمفرده عشرين رجلاً من المشركين، يرى زوجته أم سليم ومعها خنجر، فيقول أبو طلحة: «يا رسول الله! هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا عنك، فقال: يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن» (١)

وهكذا استحقت أم سليم أن تكون من أهل الجنة، فقد كانت مخلصة فى إيمانها، تؤثر الآخرة على الأولى، مجاهدة فى سبيل الله، يقول رسول الله ﷺ: «**رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة..**» (٢)



(١) رواه مسلم (٤٦٥٧)

(٢) رواه البخارى (٣٤٧٦) وأحمد (١٤٥٨٤)

نساء داعيات إلى الإسلام

من الطبيعى أن يدعو الرجل زوجته، وأن يسعى لإصلاحها، وهذه المرأة تسعى لإصلاح زوجها، وندع عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما - يحكى لنا الموقف، يقول ابن الزبير: «لما كان يوم الفتح أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبى جهل، ثم قالت أم حكيم: يا رسول الله قد هرب عكرمة منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فآمنه، قال ﷺ: «هو آمن» فخرجت فى طلبه.. وأدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة، فجعل نوتى السفينة يقول له: اخلص، قال:

أى شيء أقول؟! قال: قل لا إله إلا الله.

قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا.

فجاءت أم حكيم على هذا الأمر، فجعلت تليح إليه وتقول: يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك.. فوقف لها حتى أدركته، فقالت: إنى استأمنت لك رسول الله ﷺ، قال: أنت فعلت؟!

قالت: نعم، أنا كلمته فآمنك، فرجع معها وأسلم..» (١)

ما أعظم تلك المرأة التى تسافر لتدعو زوجها إلى الإسلام، وتأتى به إلى رسول الله ﷺ مسلماً، ولم يكن السفر فى ذلك الزمن سهلاً ميسوراً كاليوم وقد تعرضت لأخطار نجت منها بذكاءها وبتوفيق الله لها قبل كل شيء.

وامرأة أخرى تسافر خلف أخيها لتدعوه إلى الإسلام، وإلى اللحاق بالركب المؤمن، خوفاً عليه من عذاب الله إن ظل على الكفر والعناد، هذه المرأة هى (سفانة بنت حاتم الطائى)، يقول الحافظ: «نزلت سفانة بنت حاتم - أخت عدىّ - بدار رملة بنت الحارث، وكان عدّى بن حاتم قد فرَّ - لما سمع بحركة على بن أبى طالب رضي الله عنه إلى الشام *.

(١) الحاكم (٥٠٥٥)، (٥٠٥٦) ومالك فى الموطأ (١٩٢) والواقدى وغيرهم.

فكانت أخت عدى إذا مرَّ رسول الله ﷺ تقول:

يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علينا منَّ الله عليك. فيقول لها: ومن وافدك؟

فتقول: عدىّ بن حاتم. فيقول: الفارّ من رسول الله؟!

حتى يئست، فلما كان اليوم الرابع، مرَّ عليها ﷺ فأشار إليها على بن أبى طالب - رضي الله عنه - أن قومى فكلميه، فكلمته، فخلىَّ عنها ووصلها، فأتت أخاها عدىّ بن حاتم وقد لحق بالشام، فحسَّنت إليه أن يأتى رسول الله ﷺ، فقدم المدينة وأسلم» (١)

ويحكى حاتم عن نفسه حين قدم المدينة ليلقى رسول الله ﷺ فيقول: «... وجلست بين يديه - ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنما تفرّ أن تقول الله أكبر، وتعلم أن شيئاً أكبر من الله؟ قال حاتم: قلت: لا، قال - ﷺ - : فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال، قال حاتم: قلت: فإنى جئت مسلماً، قال: فرأيت وجهه تبسط فرحاً ﷺ..» (٢)

* وهذه امرأة تسلم سراً، فتدخل على نساء قريش تدعوهم الإسلام. وهذه المرأة هى أم شريك القرشية، يقول فى الاصابة:

«أم شريك القرشية.. وقد كانت تحت أبى العسكر الدوسى، فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً، فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لآذيناك، ولكنا سنردك إليهم» (٣)

فهذه المرأة حين أسلمت شعرت بواجب تجاهها من غير تكليف نبوى شريف، ولا تكليف من أحد، شعرت أنها مسؤولة عن تبليغ هذا الدين لأناس بعيدون عنه، ويحول الباطل المتمثل فى صناديد الكفر دون وصول الحق إليهم، ففكرت ووجدت أن أحسن وسيلة هى أن تدخل بيوت صديقاتها من نساء قريش فتدعوهن إلى

(١) انظر (امتاع الاسماع) (١/٥٤٤)

(٢) رواه الترمذى (٢٩٥٣) وحسَّنه.

(٣) (الإصابة ج٤) ترجمة أم شريك والأنصارية

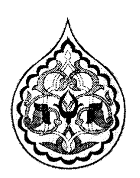
الإسلام سراً، وتبين لهن عظمة الإسلام، ورحمة الإسلام، وعدل الإسلام..... وإنه شعور بالمسؤولية كبير لا يتوفر لكثير من الرجال اليوم فضلاً عن النساء.

وتحكى أم شريك عن نفسها بعدما أخذها المشركون ليردوها إلى قومها فتقول: فحملونى على بعير ليس تحتى شىء، ثم تركونى ثلاثاً لا يطعمونى ولا يسقونى، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقونى فى الشمس واستظلوا هم منها. وحبسونى عن الطعام والشراب، فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقونى فى الشمس إذا أنا ببرد شىء على صدرى، فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع منى فرفع.. ثم عاد فتناواته فشربت منه ثم رفع.. ثم عاد فتناولته ثم رفع مراراً، ثم تركت فشربت حتى رويت ثم أفضت سائرة على جسدى وثيابى، فلما استيقظوا إذاهم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة فقالوا لى: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت: لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا..

قالوا لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك» (١)

نعم «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» (٢)

وهذه كرامة من كرامات الله تعالى لعباده الصالحين، حين تنقطع عن المؤمن الأسباب فإن الله تعالى مسبب الأسباب ورب كل شىء لا يضيعه لكن يدافع عنه، ويجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

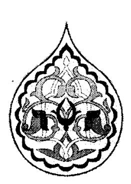


(١) انظر « صفة الصفوة» (٣٨/٢).
(٢) سورة الحج الأية (٣٨)

امرأة تخرج فى سبيل الله

عن حميد - يعنى ابن هلال -، قال: «كان رجل من الطفاوة طريقه علينا، يأتى على الحى فيحدثهم، قال: قدمت المدينة فبعنا بضاعتنا، ثم قلت لأ نطلق إلى هذا الرجل، فلأتين من بعدى بخبره، قال: فانتهيت إلى - رسول الله ﷺ. فإذا هو يرينى بيتً، قال ﷺ: «إن امرأة كانت فيه فخرجت فى سرية من المسلمين وتركت اثنتى عشرة عنزة وصيصتها (يعنى صنارة الغزل التى تغزل بها) التى تنسج بها، قال: ففقدت عنزاً من غنمها وصيصتها، قالت: يا رب، إنك قد ضمنت لمن خرج فى سبيلك أن تحفظ عليه، وإنى قد فقدت عنزاً من غنمى وصيصتى، وإنى أنشدك عنزى وصيصتى، قال: فجعل ﷺ يذكر شدة مناشدتها لربها تبارك وتعالى، قال ﷺ: فأصبحت عنزها ومثلها، وصيصتها ومثلها، وهاتيك فائتها فاسألها إن شئت،

قال: قلت: بل أصدقك» [1] ما أعظم ثقة هذه المرأة فى ربها تبارك وتعالى! نعم: الله تعالى عند ظن عبده به، فلا يظنن به إلا خيراً، فما أجمل خروجها للجهاد فى سبيل الله، وما أجمل ثقتها بالله تعالى أن يحفظ لها حاجتها، ووديعتها، ما أحوج نساء اليوم إلى الإيمان بالله والثقة فيما عند الله تعالى وفى نصرته للمؤنين.



(١) رواه أحمد (١٠/٤١) ورجاله رجال الصحيح

صاحبة الهجرتين

عادة المرأة أن تغضب حين يقال عنها كلمة سيئة، عن ملابسها مثلاً، أو عن شخصيتها أو عن طريقة تحضيرها الطعام.. أو نحو ذلك. ولكن أسماء بنت عميس رضى الله عنها ما غضبت لمثل هذه الأسباب، تعالى أيتها الأخت المسلمة لنرى ماذا أغضب أسماء بنت عميس رضى الله عنها.

يقول أبو موسى الأشعرى - ﷺ -: «بلغنا مخرج ﷺ ونحن باليمن. فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لى أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال: فى بضع، وإما قال: فى ثلاثة وخمسين رجلاً من قومى فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر ابن أبى طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أناس من الناس يقولون لنا، يعنى لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس، وهى ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت مع النجاشى فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت حفصة: هذه أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه» *

قالت أسماء: نعم، قال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم،

فغضبت أسماء وقالت: كلا والله، لقد كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا فى دار - أوفى أرض - البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك فى الله وفى رسول الله ﷺ.

وأيم الله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبى ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا

* يعنى التى هاجرت إلى الحبشة وركبت البحر

أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبى ﷺ، قالت: يا نبى الله إن عمر قال كذا وكذا. قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له: كذا وكذا،

قال ﷺ: «ليس بأحق بى منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة. ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان»

قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوننى أرسالاً (يعنى أفواجاً)، يسألوننى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شىء هم به أفراح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى ﷺ، قال أبو بردة قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى» (١)

هكذا غضبت أسماء غضباً شديداً لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لها نحن، أحق برسول الله ﷺ منكم لأنهم هاجروا معه، وأسماء ومن معها كانوا بالحبشة، فاقسمت أسماء أن لا تذق الطعام والشراب حتى تخبر رسول الله ﷺ بهذا، حتى جاء ﷺ فأخبرته فقال: لا ليسوا بأحق بى منكم، ولكم هجرتان ولهم هجره واحدة. نعم هكذا يكون الغضب، ولهذا يكون، لله ولرسوله، وليس لأمور تافهة، إنها حزنت لأن تشعر أنه يوجد من هو بأحق منها برسول الله ﷺ، وهى وزوجها - جعفر ابى طالب رضي الله عنه، وأصحابهم قد هاجروا إلى الحبشة فى سبيل الله فراراً بدينهم وطاعة لله ولرسوله، وزاقوا هناك البأساء والضراء فى سبيل الله، وهى تعلم هذا،

أسماء هذه لم تكد تنس مرارة الغربة فى الحبشة، ولم تكد ترتاح فى المدينة سوى عاماً أو يزيد قليلاً حتى كانت غزوة مؤتة وكان زوجها جعفر أحد قادتها الشهداء، وقبل أن يأتى الجيش يخبر النبى ﷺ بمقتل الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وابن رواحة، يخبره الوحى بذلك، فيدخل النبى ﷺ على أسماء بنت عميس فيقول لها: أين أبناء جعفر، فيحتضن الغلمان الثلاثة ويضمهم إلى صدره ويشمهم وتزرف عيناه بالدموع، وحينما ترى أسماء الدمع فى عين رسول الله ﷺ تعلم ما

(١) رواه البخارى (٣٩٩٠) ومسلم (٦٣٦٠) وغيرهما

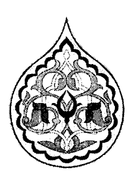
حدث فتسأله بفزع: ما بلغك عن جعفر يا رسول الله؟

قال ﷺ: إن جعفر قتل اليوم.. إنه الإختبار القاسى، بعد الغربة ومرارتها، يتوفى الزوج وييتم الأطفال الصغار، فتبكى أسماء بكاءً مراً، فيقول لها رسول الله ﷺ: لا تضربى صدراً، ولا تقولى هجراً.

وتمتثل أسماء لأمر رسول الله ﷺ، فلا تفعل أكثر من البكاء على العزيز الغالى جعفر - رضي الله عنه - هذا الشهيد الذى جاد بروحه فى سبيل الله تعالى، وتطمئن أسماء حين تسمع النبى ﷺ يقول: «**أريت جعفراً، ملكاً يطير بجناحيه فى الجنة**»(١)

وتصبر أسماء على وفاة زوجها جعفر، ويرزقها الله بزوج آخر صالح ألا وهو الصديق أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة زوجته أم رومان، ثم يتوفى عنها ويوصيها بتغسيله وتكفينه - رضي الله عنه - وقد كانت آنذاك صائمة فعزم عليها أن تفطر فأفطرت، ثم تزوجت من بعده بعلى بن أبى طالب رضي الله عنه، فهى زوجة الصالحين والمتقين، وهى المؤمنة أخت المؤمنات، رضى الله عنها يقول رسول الله ﷺ:

«الأخوات مؤمنات ميمونة زوج النبى ﷺ، وأختها أم الفضل بنت الحارث، وأختها سلمى بنت الحارث إمرأة حمزة، وأسماء بنت عميس، أختهن لأمهن» (٢)



(١) رواه بهذا اللفظ ابن حبان فى صحيحه (٧٠٤٧) ورواه بمثله الترمذى (٣٧٦٣) والطبرانى فى الأوسط (٦٥٤٠) والكبير (١٤٦٧)، (٢٦٧٥)

(٢) رواه الحاكم وصححه (٦٨٠١) والنسائى (٨٣٨٧) والطبرانى فى الكبير (١٢١٧٨)

أم الشهداء الأربعة

الناس عند استقبال المصائب والشدائد يختلفون، فمنهم من يجزع ويقول ما لا يرضى الله تعالى، ومنهم من يصبر ويحتسب، ولا يفعل أكثر من البكاء والحمد وقول «إنا لله وإنا إليه راجعون»، إقتداءً فى ذلك برسول الله ﷺ حين مات ولده إبراهيم فدمعت عيناه

وقال: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون» (١)

وأم الشهداء الأربعة التى نتحدث عنها الآن امرأة حكيمة شاعرة مشهورة عاشت فى الجاهلية ثم شرفها الله بالإنتساب للإسلام. فقدمت على رسول الله ﷺ مع قومها وأسلمت، هذه المرأة هى الشاعرة المشهورة «تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبه» السلمية وشهرتها «الخنساء»، ولكى ندرك مدى صبر الخنساء فى الإسلام وعظمتها كأم لأربعة شهداء نتعرض لطرف من حياتها قبل الإسلام، مات أخ للخنساء اسمه صخر، وكانت تحبه حباً شديداً وقد كان أخوها لأبيها إلا أنها كانت تحبه حباً شديداً لأنه كان حليماً جواداً محبوباً فى قومه.

وعندما جاء الخبر للخنساء حزنت حزناً شديداً، وملئت الدنيا صراخاً وعويلاً على أخيها صخر، وقالت فيه شعراً عظيماً، وكان مما قالته فيه:

أعينَّى جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرئ الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

وقالت فيه:

ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتى ويشق رمسى
يذكرنى طلوع الشمس صخراً وأبكيه لكل غروب شمس

(١) رواه مسلم بهذا اللفظ (٥٩٧٩) ومثله فى البخارى (١٢٤١)

فلولا كثرة الباكين حولى	على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن	أعزى النفس عنهم بالتأسى

وقالت عنه:

ألا يا صخر إن أبكيت عينى	فقد اضحكتها دهراً طويلا
ذكرتك فى نساء معولات	وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حىّ	ومن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل	فأنت بكاؤك الحسن الجميلا

هذه الخنساء التى تقول تلك الأبيات المؤثرة المبكية المحزنة حزناً على موت أخيها صخر فى الجاهلية، ها هى نفسها الخنساء وبعد أن أسلمت تحضر حرب القادسية فتقف من أبناءها الأربعة موقف الواعظ المذكر بفضل الجهاد فى سبيل الله، وتحثهم على الثبات فى المعركة وعدم الفرار، ويدخل أبناءها حرب القادسية ضد الفرس وتنتهى الحرب بهزيمة الفرس، وانتصار المسلمين نصراً مؤزراً، وتنتظر الخنساء نتيجة الحرب، فيأتيها الخبر أن النصر كان حليف المؤمنين لكن.. لكن ماذا؟!

لقد قتل أبناؤها الأربعة شهداء فى سبيل الله، فماذا كان موقف الخنساء؟!

ماذا كان موقف من مات أخ لها لأبيها فى الجاهلية فرثته بشعر يشيب له الولدان؟! ماذا كان موقفها حين بشرت بقتل أبناءها الأربعة فى سبيل الله؟!

لقد قالت كلمة واحدة، قالت:

«الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم جميعاً، وأرجو الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته» (١)

ما هذا الصبر الجميل يا خنساء؟! أهكذا غيرك الإسلام؟!

---

(١) «الإصابة فى تمييز الصابة (٤/٢٨٨)»

هل علمت أن الموت فى سبيل الله حياة وليس موتاً؟

نعم:

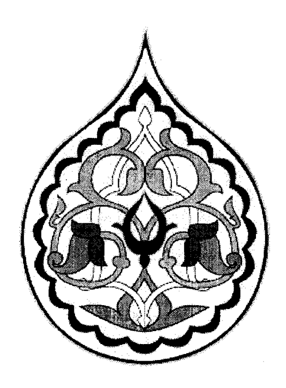
«ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون»

هل علمت أن الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام؟ وأن حماية الدين واجب مقدس يجب أن تربى الأمهات عليه الأبناء؟!

هل علمت أن الحياة لاقيمة لها إن كانت بعيدة عن الله، بعيدة عن الحق، بعيدة الإيمان؟

هل علمت أن الصبر على البلاء جزاؤه الجنة؟!

لقد أصبحت الخنساء امرأة أخرى، أصبحت مؤمنة، مطمئنة، تبغى الحق والصدق، وتؤمن بالقضاء والقدر، وتعلم أن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن قضاء الله وقدره خير كله، وعلى المرء أن يرضى بقضاء الله ويعلم أنه له خير وأن يشكر فى الرخاء، ويصبر عند البلاء. ولا يدعو بدعوى الجاهلية..



عائلة مباركة

«وهذه «هند بنت عمرو بن حرام» زوجة «عمرو بن الجموح»

تحمل على بعير لها شهداء ثلاثة، فتقابلها عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتقول لها: ما ورائك؟! قالت هند: أما رسول الله ﷺ فصالح، وكل مصيبة بعده جلل، واتخذ الله المؤمنين شهداء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا... قالت عائشة: من هؤلاء؟!

قالت هند: أخى وابنى خلاد وزوجى عمرو ابن الجموح، قالت: فأين تذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة اقبرهم فيها،

ثم قالت: حل (تحث الناقة على المسير)، فبرك بعيرها، فقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: مما عليه (يعنى لثقل ما عليه)

قالت هند: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل البعيران، ولكنى أراه لغير ذلك، وزجرته فقام، فوجهته إلى أحد (راجعة) فأسرع، فرجعت إلى النبى ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: إن الجمل مأمور، هل قال شيئاً (يعنى زوجها عمرو)؟!

قالت: ان عمراً لما وجّه إلى أحد قال: اللهم لا تردنى إلى أهلى خزيان، وارزقنى الشهادة، قال ﷺ: فلذلك الجمل لا يمضى، يا معشر الأنصار إن منكم من لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن الجموح، يا هند: ما زالت الملائكة مظلة على زوجك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن، ثم مكث حتى قبرهم، ثم قال: يا هند قد ترافقوا فى الجنة: عمرو وابنك خلاد وأخوك عبد الله، قالت: يا رسول الله أدعو الله أن يجعلنى معهم» (١)

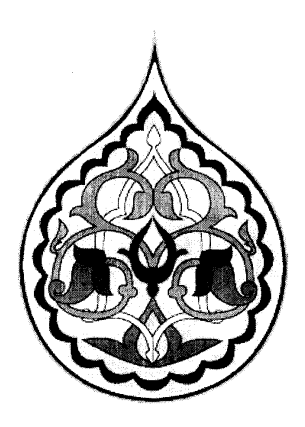
الله الله، يا هند، تحملين زوجك وابنك وأخيك، شهداء ثلاثة على بعير واحد وترجعين بهم إلى المدينة قافلة تقبرينهم!

(١) انظر (امتاع الأسماع) (١/١٤٨ ـ ١٤٩)

وحين تسألين ما ورائك تقولين: أما رسول الله فصالح.. فالذى أهمها هو رسول الله ﷺ وحاله وصلاحه، فهو عندها أهم من زوجها وابنها وأخيها، فهى تخبر أولاً عن الحبيب محمد ﷺ لأنها تحبه وتفديه بالروح والدم، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (١)

نعم فهو أولى من النفس والروح، وهذا ليس كلاماً، إنما حقيقة. هذه المرأة تحتسب زوجها وابنها واخيها شهداء عند الله تعالى وتصبر ولا تبدى أسى ولا أسفاً، بل ترجو من الله تعالى أن يجعلها معهم فى الجنة، أليست هى زوجة عمرو بن الجموح الذى أقسم على الله فأبره، والذى قال له أولاده قبل المعركة:

«إنك امرؤ معذور ليس عليك حرج (وقد كان أعرجاً) ونحن نكفيك القتال» فأبى إلا أن يقاتل فى سبيل الله، وقال قولته الشهيرة «إنى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة»



(١) سورة الأحزاب من الآية (٦)

خطيبة النساء

«فصاحة نادرة»

بينما كان رسول الله ﷺ جالساً بين أصحابه يعلمهم أمور دينهم إذ دخلت عليه امرأة ـ وهو بين أصحابه ـ فقالت:

«بأبى أنت وأمى ـ يا رسول الله ـ إنى وافدة النساء إليك، وأعلم نفسى لك الفداء، أما إنه ما من امرأة كائنة فى شرق ولا غرب سمعت بمخرجى هذا أو لم تسمع إلا وهى على مثل رأيى، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، وبإلهك الذى أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً (يعنى مجاهداً) حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم فى الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال:

«هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟ قالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى لمثل هذا، فالتفت النبى ﷺ إليها ثم قال لها: انصرفى أيتها المرأة، وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله، قال: فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشاراً» (١)

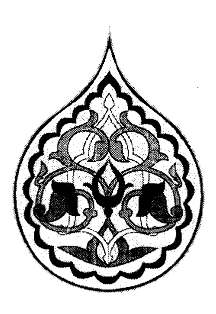
لقد كانت هذه المرأة أسماء بنت يزيد بن السكن، وهى من الأنصار، وقد لقبت بلفظ «خطيبة النساء» لحسن منطقها، وقوة حجتها، وفصاحة لسانها، وبلاغتها.

(١) رواه البيهقى فى الشعب (٨٧٤٣) وله شواهد

«شجاعة مشهورة»

كانت معركة اليرموك من أشهر معارك الإسلام، وقد خاضها المسلمون ضد الروم، وقد خرج فى هذه المعركة جمع من النساء كان فيهن أسماء بنت يزيد بن السكن ـ رضى الله عنها ـ خرجت لتداوى الجرحى وتسقيهم، وتعين الجيش، ولقد اشتركت فى القتال، فقتلت بعمود خبائها تسعة من الروم كما ذكر ذلك الحافظ الذهبى [1] وغيره، وكانت إذا لقيت أحداً من المسلمين المنهزمين تقول له:

أين تذهبون؟ وتتركونا للعلوج (يعنى الأعاجم)، فكانت تثير فيهم الحمية فيرجعون للقتال، ولقد كتب الله للمسلمين فى هذه المعركة النصر المبين على جموع الروم رغم ضخامة عددهم فقد وصلوا حوالى ثلاثمائة ألف مقاتل، لكن المسلمين، هزموهم بإذن الله وقتلوا منهم مائة وعشرين ألفاً، ففر هرقل قائدهم إلى غير رجعة وهو يقول: «السلام عليك يا رسوريا، سلاماً لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومى بعد الآن إلا خائفاً»



(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٩٧) و «الإصابة فى تمييز الصحابة» (٤/ ٢٢٩)

المبايعة المجاهدة

بايعت بيعة العقبة الثانية، حيث كان المبايعون اثنين وسبعون رجلاً وامرأتان نسيبة بنت كعب وأختها رضى الله عنهم جميعاً.

إنها أسرة مؤمنة أسرة نسيبة بنت كعب، لأن الأسرة كلها شهدت هذه البيعة فكان من الإثنين وسبعين رجلاً المبايعين زوجها زيد بن عاصم وابناها منه عبد الله وحبيب، كما أن أخيها عبد الله بن كعب ممن شهد بدراً، ولقد كانت تلقب نسيبة بنت كعب «بأم عمارة الأنصارية»

وفى يوم أحد حين أشيع أن الرسول ﷺ قد قتل وانهزم الناس وفر من فر منهم كانت أم عمارة فى جمع من المسلمين حول رسول الله ﷺ يذبون عنه سهام الكفر وسيوفهم، ويحكى المقريزى موقف أم عمارة فى تلك الظروف فيقول:

«وقد قاتلت أم عمارة وأبلت بلاءً حسناً حتى جرحت اثنا عشر جرحاً، ذلك أنها كانت بين يدى رسول الله ﷺ هى وزوجها (غزية بن عمرو) وابناها عبد الله وحبيب (ابنا زيد بن عاصم) يزبون عنه ﷺ، فلما انكشف المسلمون جعلت تباشر القتال بنفسها بالسيف، وترمى بالقوس، ولما أقبل ابن قمئة يريد النبى ﷺ كانت فيمن اعترض له، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد غور أجوف، وضربته هى ضربات، فقال رسول الله ﷺ: «لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان» وقال ﷺ: «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دونى»، قالت أم عمارة ـ رضى الله عنها ـ: «يا رسول الله ادع الله أن نرافقك فى الجنة، قال: اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة»

قالت: «ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا» (١)

(١) امتاع الأسماع (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩) وابن سعد (٨/ ٣٠٣) والبداية والنهاية (٤/ ٣٤) والإصابة (٤/ ٤٧٩) ومثله فى البخارى مختصراً وأنظر الفتح (٦/ ٥١)

هذه أم عمارة الأنصارية «نسيبة بنت كعب» خرجت فى أحد لتسقى الجيش وتمرض الجرحى، فلما رأت الناس وقد انكشفوا عن رسول الله ﷺ وفروا ما انكشفت ولا ولت ولا فرت - وهى الأنثى الضعيفة - إنما التحمت مع زوجها وابناها لقتال أعداء الله ووقفت تدافع عن رسول الله وتضرب الكفار بالسيف والرمح، ولو تركت القتال وفرت مع الفارين لما استطاع أحد أن يتكلم عليها كلمة فهى امرأة لم تكلف بالقتال!

لكن شعورها بأن النبى ﷺ - والإسلام - فى خطر دفعها للوقوف فى وجه الأعداء كالأسد الأشم لا تهاب الموت.

وفى يوم حنين حين ضاقت الأرض بما رحبت على المسلمين، وانكشف الناس والطلقاء وقفت «أم عمارة وفى يدها سيف صارم.. وأخذت تصيح فى الأنصار.. أية عادة هذه؟! ما لكم وللفرار! وشدت على رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه..» (١)

ولما قتل ابنها حبيب بن زيد قتله مسيلمة الكذاب، لما بلغها نبأ قتله بايعت الله أن تموت دون مسيلمة، فشهدت معركة اليمامة مع سيف الله خالد بن الوليد ومعها ابنها عبد الله، فقاتلت مسليمة حتى قتل، وابلت بلاءً حسناً، وجرحت فى ذلك اليوم أحد عشر جرحاً وقطعت يدها، وقدمت المدينة وقد حدث لها ما حدث فوفد الناس يزورنها، وفيهم خليفة رسول الله أبى بكر الصديق ﷺ وأرضاه، وكان لا يفتئ يزورها ويسأل عنها، رحم الله أم عمارة الأنصارية، فقد ظلت على العهد وفية للإسلام، مدافعة عن الحق، تعين المسلمين المجاهدين فى سبيل الله، بل وتقاتل معهم إن احتاج الأمر، فهى خير من فلان وفلان كما قال رسول الله ﷺ، يعنى مقامها فى الجهاد خير من مقام كثير من الرجال، لثباتها وقوتها وتوكلها على الله تعالى وعدم خوفها من الموت.

(١) امتاع الأسماع (١/ ١٥٠)

امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات

حين تكون النفس مؤمنة، تبغى الحق، وتخاف من غضب الله تعالى، فإن الله جاعل لها من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجا، وهذا ما حدث مع خولة بنت ثعلبة، كانت خولة متزوجة من أوس ابن الصامت «وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه - (يعنى أصبح شديداً عليها سريع الغضب) - قالت: فدخل علىَّ يوماً فراجعته بشيء - يعنى راجعته الكلام - فغضب فقال: أنت على كظهر أمى،

قالت: ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ثم دخل علىَّ، فإذا هو يراودنى عن نفسى، قالت: قلت كلا والذى نفس خويلة بيده لا تخلص إلىَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه،

قالت: فواثبنى فامتنعت عنه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عنى، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثياباً حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه، قالت: فو الله ما برحت حتى نزل فىَّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرى عنه، فقال لى: يا خويلة قد أنزل الله فيك وفى صاحبك (زوجك) قرآناً، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١)

إلى قوله تعالى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢)

قالت: فقال لى رسول الله ﷺ: «مرية أن يعتق رقبة، قالت: فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين، قالت: فقلت والله إنه لشيخ

(١) سورة المجادلة الآية (١)

(٢) ختام الآية (٤) من سورة المجادلة

كبير ما له من صيام، قال: فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر، قالت: قلت يا رسول الله ما ذاك عنده، قال ﷺ: فإنا سنعينه بعزق من تمر، قالت: فقلت والله يا رسول الله وأنا سأعينه بعزق آخر، قال: «قد أصبت وأحسنت، فاذهبى فتصدقى به عنه، ثم استوصى بابن عمك خيراً، قالت: ففعلت» (١)

هذه امرأة بسيطة فقيرة لكنها مع هذا تضرب المثل للمرأة المسلمة فى تحرى الحلال، والحرص على طاعة الله تعالى وعدم معصيته، يقول لها زوجها: أنت على كظهر أمى، يعنى محرمة على كتحريم أمى على، ثم بعد أن يهدأ يريد مواقعتها وقضاء شهوته منها، فتأبى عليه، لأنها تخاف من الله تعالى، فلا تعلم هل بعد هذه الكلمة التى قالها أصبحت محرمة عليه فعلاً أم ماذا، فدفعته عنها خوفاً من أن يرتكبا بذلك إثماً، وأبت إلا أن تذهب لرسول الله ﷺ لتحكى له ما حدث، وأخذ الرسول ﷺ يوصيها بزوجها الطاعن فى السن وبحسن عشرته، وأخذت تجادله ﷺ فى أمر الظهار الذى حدث لها، وماذا تفعل، وبينما هما كذلك فى جانب من البيت، وعائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ فى الجانب الآخر ولا تسمع شيئاً من كلام المرأة وشكواها، بينما هم كذلك إذ سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، ونزل جبريل الأمين بالوحى المبين قرآناً يتلى إلى يوم الدين، ويبين للناس أمر الظهار وحكم الله تعالى فى هذه الحادثة.

فهل كل امرأة مسلمة لديها الحرص على الطاعة لله رب العالمين والخوف من اقتراف ما من شأنه أن يكون حراماً أو مصدر شبهه، وهل تسأل أهل العلم إذا حدث بينها وبين زوجها شيء من شأنه أن يفصم عُرى العلاقة بينهما؟!

هل تدرك الزوجة المسلمة اليوم أنه «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» (٢)

فتدفع زوجها عنها إن أراد أن يمارس معها شيئاً محرماً أو أراد منها أن تفعل ما يغضب الله تعالى؟!

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٠) والبداية والنهاية (٢/ ٦٠٨) والإصابة (٤/ ٢٩٠)

(٢) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه وغيرهما ـ مسند أحمد (١٠٩٨)، صحيح ابن حبان (٤٥٦٩) ورواه البخارى بلفظ (فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) صحيح البخارى (٦٧٢٥)

لقد كانت خولة بنت ثعلبة تلك المرأة البسيطة على بساطتها وفقرها أفقه من كثير من نساء اليوم.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يذكرها وقد أصبحت امرأة عجوز ويروى الواقدى * الحادثة فيقول: «خرج عمر ومعه الناس فمر بعجوز، فاستوقفته فوقف فجعل يحدثها وتحدثه..

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين: حبست الناس (يعنى تركتهم واقفين منتظرين) على هذه العجوز؟!

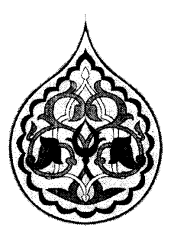
فقال عمر - رضي الله عنه -: ويلك أتدرى من هذه؟

هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات

هذه خولة بنت مالك بن ثعلبة التى نزل فيها قول الله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها» وفى رواية: «سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات فعمر أحق والله أن يسمع شكواها».



* «الإصابة فى تمييز الصحابة (٤/ ٢٩٠)»

امرأة تغزو البحر فى سبيل الله

قال أنس ابن مالك رضي الله عنه حدثتنى أم حرام - وهى خالته -:

«أن النبى ﷺ قال يوماً فى بيتها (يعنى نام وقت القيلولة) فاستيقظ وهو يضحك، قالت: يا رسول الله ما يضحكك؟

قال: «**عجبت من قوم من أمتى يركبون البحر كالملوك على الأسرة**،

فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «أنت منهم» ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقال مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً،

قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم فيقول: أنت من الأولين. فتزوج بها عبادة بن الصامت، فخرج بها إلى الغزو، فلما رجعت قربت دابة لتركبها فوقعت فاندقت عنقها» (١)

وقد كان ذلك الغزو فى زمن معاوية ابن أبى سفيان رضي الله عنه عند فتح المسلمين جزيرة قبرص، ودفنت أم حرام بنت ملحان هناك فى قبرص، ولا يزال قبرها هناك يعرف بقبر «المرأة الصالحة».

والشاهد فى هذا الحديث أن أم حرام بنت ملحان - رضى الله عنها - وهى امرأة لم يكتب عليها الجهاد والذى هو القتال والخروج للقاء العدو، ومع ذلك فهى امرأة ذات همة عالية تشتاق إلى الجنة، وتبغى المعالى، فتقول فى نفسها وما يمنعنى من الخروج فى سبيل الله مع زوجى، فتخرج مع زوجها عبادة بن الصامت لتركب البحر مع كتيبة الإسلام وتوقصها الدابة فتموت شهيدة فى سبيل الله، ويتحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ.

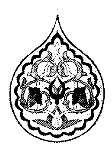
(١) الحديث رواه البخارى (٢٧٣٧) ومسلم (٤٩١١) وغيرهما

امرأة شجاعة

فى غزوة الأحزاب، وبعد أن خان بنو قريظة العهد، وأصبح المسلمون بين عدوهم يحاصرهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وكان النساء فى المدينة فى الحصون، إذ جاء رجل من اليهود يطوف بالحصن يتبين ويتحسس الأخبار ليدل اليهود على حصون النساء، ويروى ابن اسحاق عن عباد الخبر: فيقول

«كانت صفية - بنت عبد المطلب - رضى الله عنها - فى فارع حصن حسان بن ثابت - رضي الله عنه - قالت: وكان حسان - رضي الله عنه - معنا فيه مع النساء، والصبيان، فمر بنا رجل من اليهود يطوف بالحصن، وقد قطعت بنو قريظة ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس معنا أحد يدافع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون فى غور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا، إذ أتانا آت، فقلت: يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله.

قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لى ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجزت ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته» (١)



(١) البداية والنهاية (١٠٨/٤)

امرأة من أهل الجنة تمشى على الأرض

عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس - رضى الله عنهما -: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبى ﷺ فقالت: إنى أصرع، وإنى أتكشف، فادع الله لى، قال ﷺ:

«إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»

فقالت: أصبر، فقالت: إنى أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها» (١)

والشاهد من هذا أن هذه المرأة السوداء، وهى امرأة غير معروفة فى المجتمع المسلم، وغير مشهورة، إلا أنها امرأة مسلمة، تعرف قيمة الجنة، وتسعى حثيثاً إليها، فمرض الصرع مرض خطير، ومؤذى للإنسان بدنياً ونفسياً وخصوصاً للمرأة، وكون هذه المرأة تصبر على هذا المرض نظير أن يكون لها الجنة فيه دليل على عظم فهم هذه المرأة، وتقدير معنى دخول الجنة، ولو كانت امرأة غيرها لقالت للرسول ﷺ ادع الله أن يشفينى، أما دخول الجنة فإنى سأعمل جاهدة على الطاعة.. إلخ لكن هذه المرأة قدرت الأمر حق قدره، فقالت فى نفسها الجنة.. نظير الصبر على هذا البلاء أما بينى وبين الجنة سوى الصبر على هذا البلاء؟! فإنى صابرة إن شاء الله، لكنها عادت فطلبت أن يدعو لها ﷺ أن لا تتكشف حتى لا يطلع أحد على عورتها فدعا لها ﷺ، وهو دليل على إيمان هذه المرأة، فإن هناك من تتكشف فى هذا العصر من غير علة ولا مرض، وإنما تسعى لابداء زينتها سعياً..

(١) رواه البخارى (٥٣٢٨) ومسلم (٥٦١٦) وأحمد (٣٢٣٠)

إمرأة تبكى انقطاع الوحى

عن أنس قال: «قال أبو بكر - رضي الله عنه - بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟! ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها» (١)

هذه المرأة رغم بساطتها، إلا أنها تحسّ قيمة الوحى الإلهى، وارتباط الأرض بالسماء، وأنه بموت رسول الله ﷺ انقطع الوحى من السماء، وكملت الرسالة، وأتم الله الدين، لاشك أن انقطاع الوحى لا يعنى شيئاً بالنسبة للتشريع الإسلامى لأن التشريع قد اكتمل، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾(٢)

لكنه أمر نفسى، شعرت به هذه المرأة، لقد كان القرآن ينزل عليهم فيشعرون ويحسون قيمته ومعانيه، وكان ما يمر بهم من حوادث عظيمة يأتى القرآن بالتعليق عليها، كانوا يحسون أن الوحى معهم دائماً، فبكت أم أيمن فبكى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، رحم الله أم أيمن فلقد كان يقول لها رسول الله ﷺ: يا أمه، وينظر إليها ويقول: هذه بقية أهلى» (٣)

(١) رواه مسلم (٦٢٦٨) وغيره
(٢) سورة المائدة الآية (٣)
(٣) رواه الحاكم (٦٩١١)

المرأة المحتسبة

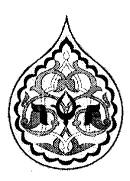
«عن الشفاء ابنة عبد الله ـ رضى الله عنها ـ قالت: أتيت رسول الله ﷺ أسأله الصدقة فجعل يعتذر إلىّ، وأنا ألومه، فحضرت الصلاة، فخرجت فدخلت على ابنتى وهى تحت شرحبيل بن حسنة، فوجدت شرحبيل فى البيت، فقلت: قد حضرت الصلاة وأنت فى البيت؟!

وجعلت ألومه، فقال: يا خالة لا تلومينى فإنه كان لى ثوب فاستعاره رسول الله ﷺ، فقلت: بأبى وأمى وكنت ألومه منذ اليوم، وهذه حاله وأنا لا أشعر!

قال شرحبيل: ما كان إلا درعاً (يعنى ثوباً) رقعناه» (١)

فانظرى أيتها الأخت المسلمة إلى حث هذه المرأة زوج ابنتها على أداء الصلاة فى وقتها جماعة فى المسجد، وتعجبها من تركه للصلاة فى المسجد فى حينها، وقد كانت لا تعلم أن له عذراً،

إنها لم تلمه ولم توبخه لأنه لم يحضر لابنتها كذا وكذا .. من متاع الدنيا كما تفعل الحموات اليوم، لكنها كانت حريصة على دينه قبل أن تحرص على دنياه، رحم الله أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين ولاها أمر الحسبة فى السوق (٢).

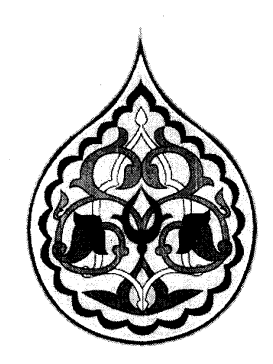


(١) رواه الحاكم (٦٨٩٢)

(٢) للإستزادة من أخبار «الشفاء بنت عبد الله» انظر «الإصابة ٤/ ٣٧٤»

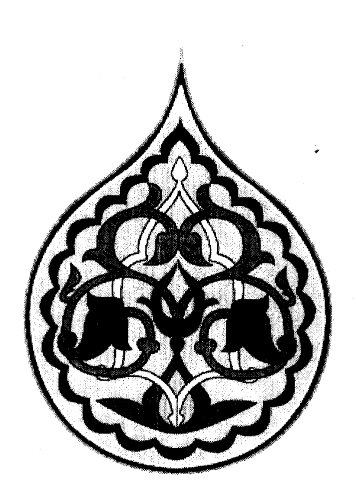
المراجـــــع

١ - « الإصابة فى تمييز الصحابة » للحافظ بن حجر العسقلانى
٢ - الطبقات الكبرى لابن سعيد
٣ - البداية والنهاية للحافظ بن كثير
٤ - سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى
٥ - صفة الصفوة للإمام بن الجوزى
٦ - حلية الأولياء لابى نعيم الأصهانى
٧ - « امتاع الاسماع » لفقى الدين أحمد بن المقريزى
٨ - تفسير القرآن العظيم الحافظ بن كثير
٩ - السيرة النبوية لابن هشام
١٠ - فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٤٤٥٣/ ٢٠٠١

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١